

فلا
التنوير الإسلامي

«٦٥»



روح الحضارة الإسلامية

للشيخ / محمد الفاضل بن عاشور

تقديم و تعليق

د. محمد عمار



مكتبة النهضة العربية
بيروت - لبنان

www.mahdetmar.com

٦٥

فتح التنوير الإسلامي

روح الحضارة الإسلامية



للشيخ / محمد الفاضل بن عاشور

تقديم وتعليق

د. محمد عمارة



للطباعة والنشر والتوزيع
مكتب أحمد محمد إبراهيم سنة ١٩٧٨

www.nahdetmisr.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



بيانات الكتاب:

اسم الكتاب: روح الحضارة الإسلامية،
اسم المؤلف: د. محمد عمارة،
إشراف عام: داليا محمد إبراهيم،
تاريخ النشر: الطبعة الأولى، نوفمبر 2003م،
رقم الإصدار: 2003/ 18178
التوزيع الدولي: ISBN 977-14-2486-6

بيانات الناشر:

الإدارة العامة للنشر
21 ش. أحمد عرابي، المهندسين، الجيزة.
ت: (02) 3466434 - (02) 3472864 - فاكس: (02) 3462576 - ص. ب: 21 إمبابة،
البريد الإلكتروني: إدارة العامة للنشر
Publishing@nahdetmisr.com

بيانات المطابع:

المطابع
80 المنطقة الصناعية الرابعة - مدينة السادس من أكتوبر
ت: (02) 8330287 - (02) 8330289 - فاكس: (02) 8330296
البريد الإلكتروني: للمطابع
Press@nahdetmisr.com

بيانات مراكز التوزيع:

مركز التوزيع الرئيس
18 ش. كامل صدقي، الفجالة، القاهرة.
ت: (02) 5909827 - (02) 5908895 - فاكس: (02) 5903395
ص. ب: 96 الفجالة - القاهرة.
الرقم المجاني: 08002226222
Sales@nahdetmisr.com
البريد الإلكتروني: إدارة البيع
مركز التوزيع بالاسكندرية
مركز التوزيع بالقاهرة
47 ش. عيد السلام، غراف
Tel: (03) 5230569
Tel: (050) 2259675

موقع الشركة على الإنترنت:

جميع الحقوق محفوظة © لشركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع
تجدونها على موقع الشركة بالعنوان التالي:
www.nahdetmisr.com الرقم المجاني: 07775666
كافة إصدارات شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع

بقلم الدكتور / محمد عمارة

صاحب هذه الدراسة - عن (روح الحضارة الإسلامية) وعلة تخلف المسلمين .. وطريق النهوض الحضارى للأمة - هو واحد من أعلام علماء المسلمين فى القرن الرابع عشر الهجرى - العشرين الميلادى :-

● إنه الشيخ العلامة محمد الفاضل بن الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (١٣٢٧ - ١٣٩٠ هـ / ١٩٠٩ - ١٩٧٠ م) .. ولد فى تونس وتربى ونشأ فى بيت من أعظم بيوت العلم الإسلامى فى تونس .. حيث كانت شهرة والده وإنجازاته فى العلوم الإسلامية قد طبقت الآفاق .

● وفى المعهد الزيتونى - جامعة الزيتونة - درس وتخرج عالماً محمد الفاضل .. وتولى التدريس فى هذه الجامعة الدينية العريقة .. وترقى حتى أصبح عميداً لها .

● ولقد جمع إلى العلم الشرعى ، ملكة الأديب ، وموهبة الخطيب .. والإبداع فى فلسفة الحضارات ..

● ولم يقف به نشاطه عند علم العلماء وأدب الأدباء .. وإنما شارك مشاركة نشطة فى مقاومة الاستعمار الفرنسى ، الذى كان يفرض احتلاله العسكرى وهيمنته السياسية

والاقتصادية والثقافية على تونس فى ذلك التاريخ . . ولقد جمعت هذه المشاركات ما بين التصدى للاحتلال العسكرى والهيمنة الإدارية وما بين مقاومة «الفرنسة» ومحاربة «التغريب» والاستلاب الحضارى . . والدفاع عن الشريعة الإسلامية . .

● كذلك ، تولى شيخنا محمد الفاضل بن عاشور منصب القضاء بتونس . . وارتقى على سلم الولايات الدينية حتى تبوأ منصب الإفتاء فى القطر التونسى .

● وإلى ما وراء الحدود التونسية امتد علم عالمنا الجليل ، فألقى المحاضرات فى العديد من الجامعات . . فى السربون - بفرنسا - وجامعة استانبول - فى تركيا - وجامعة عليكرة - بالهند . . إلخ . . وشارك فى العديد من الندوات والمؤتمرات العلمية . . ومؤتمرات المستشرقين . . ونال عضوية مجمع الخالدين - مجمع اللغة العربية - بالقاهرة . . ورابطة العالم الإسلامى - بمكة المكرمة . .

● ولقد كان الشيخ محمد الفاضل بن عاشور - مثل والده الشيخ محمد الطاهر بن عاشور - حلقة من سلسلة علماء مدرسة الإحياء والتجديد الإسلامى التى تبلورت من حول جمال الدين الأفغانى (١٢٥٤ - ١٣١٤هـ / ١٨٣٨ - ١٨٩٧م) والإمام محمد عبده (١٢٦٥ - ١٣٢٣هـ / ١٨٤٩ - ١٩٠٥م) لتجديد دنيا المسلمين بتجديد دين الإسلام .

• ومن آثاره الفكرية والأدبية - غير هذه الرسالة التي نقدم بين يديها - كتابه النفيس عن (التفسير ورجاله) .. وكتبه عن (أعلام الفكر الإسلامي وتاريخ المغرب العربي) و(أركان الحياة العلمية بتونس) و(أركان النهضة الأدبية بتونس) .. وغيرها من آثاره في الفقه .. والفتوى .. واللغة العربية ..

أما هذه الدراسة النفيسة ، التي كتبها علمنا الجليل عن (روح الحضارة الإسلامية) فإنها تعالج معضلة العضلات في محاولات الأمة الإسلامية الدائبة - منذ قرون وحتى هذه اللحظات - للانعتاق من قيود التخلف الحضارى الذى يأخذ منها بالحناق .

لقد كانت الصناعة الثقيلة التى بدأت الدعوة الإسلامية فأقامتها ، منذ المرحلة المكية ، هى صناعة الصياغة الإسلامية للإنسان الذى تدين بدين الإسلام .

وكانت «دار الأرقم بن أبى الأرقم» - فى مرحلة سرية الدعوة الإسلامية - أى منذ فجر تلك الدعوة هى أولى المؤسسات التربوية التى أقامها رسول الإسلام - عليه الصلاة والسلام - .

وقبل فتح المسلمين للمدائن والأمصار والأقطار ، وقبل إقامة الدولة .. وتغيير الواقع .. وتطبيق القانون .. وبلورة العلاقات الدولية .. كان الفتح الإسلامى للقلوب والعقول بهدى القرآن الكريم ، ذلك الذى أصبح خلق سلوك وممارسات ، وسجية للحياة التى يحيها المسلمون .. بل إن أولى المدن التى فتحها المسلمون

- قبل الهجرة النبوية .. وقبل الدولة الإسلامية - وهى المدينة المنورة -
قد فتحها المسلمون بالقرآن الكريم! ..

وبعد إنجاز الصياغة الإسلامية - بالتربية - للإنسان .. جاءت
كل الإنجازات والفتوحات ، وفى ميادين الحضارة وعلومها
والثقافة وأدابها وفنونها .. فكانت تجسيدا لهذا الذى سبق وتم
إنجازه فى نفس الإنسان ، جاءت جميعها مصاغة بمعايير
الإسلام ، التى سبق وصاغت نفوس وعقول وقلوب الذين اهتموا
بهدى الإسلام -

• إن الدعوة الدينية - فى الإسلام - لم تقف عند حدود تدين
الإنسان ، وتحقيق عبوديته لله بالشعائر المعبرة عن الإيمان
القلبى ، والمفصحة عن علاقته بالسما .. وإنما امتدت هذه
الدعوة لتحقيق ائتلاف هذا الإنسان بالأمة ، والمجتمع ،
والكون ، فتوحدت فى نفس هذا الإنسان عوالم الغيب
والشهادة ، واثلت فيها وتوازنت علاقات الفرد بالمجموع ،
والخاص بالعام ، فتديننت الدنيا ، مع بقائها دنيا ، عندما صاغ
الإسلام نفس الإنسان المسلم ووجدانه وعقله تلك الصياغة
التي ائتلفت فيها وتوازنت آيات الله فى الوحي السماوى
بآياته فى الأنفس والآفاق .

• إن دين الإسلام لا يقوم ولا يقام بالتبطل الفردى والخلاص
الذاتى ، وإنما لابد لإقامته وتحقيق كامل فرائضه من أمة ووطن
 واجتماع ومجتمع ، وفروض اجتماعية ، يتوجه الخطاب فيها

والتكليف بها للأمة ، وهذه الفروض الاجتماعية أهم وأكد من الفروض الفردية بدليل أن إثم التخلف عن الفريضة الفردية يقع على الفرد وحده ، بينما إثم التخلف عن الفريضة الاجتماعية يقع على الأمة جمعاء .

● وفي دين الإسلام ، اقترنت الهجرة في سبيل الله بتأسيس الدولة وإقامة المجتمع وتطبيق القانون وإقامة نسيج اجتماعي بين الرعية يحقق المؤاخاة لا في الحقوق الدينية المجردة فقط ، وإنما في أمور المعاش الدنيوية أيضا . . بل لقد امتد هذا النسيج بمعايير المواطنة ، وحق الاختلاف حتى في الدين إلى حيث ضم هذا النسيج غير المسلمين مع المسلمين .

فالهجرة إلى الله ليست رهبانية تخلص فيها وبها الذات ، بمعزل عن الحياة والناس . . بل إن رهبانية الأمة الإسلامية هي الجهاد الذي هو فريضة اجتماعية تستلزم وجود الأمة والوطن والاجتماع .

● لقد أحدثت الدعوة الدينية الإسلامية أثراً تكوينياً تربوياً في شخصية الفرد المسلم ، أصبح عاملاً نفسانياً حقق ائتلاف العناصر الفردية في المجتمع الإسلامي ، الطبيعي منها والشرعي ، المدني منها والديني ، العقلي منها والنقلي ، المادي منها والمجرد . . فكان ذلك الائتلاف حضارة إسلامية ، أبدعها الإنسان الذي صاغته الدعوة الإسلامية . . وتلك خصيصة من خصائص الدين الإسلامي والحضارة الإسلامية . . فالرسالات الدينية التي سبقت رسالة الإسلام الخاتمة ، إما أنها تزامنت مع

حضارات غير متدنية ، فتعايشت معها ، دون أن تغيرها وتصبغها بصبغتها ، بسبب وقوف تلك الرسائل عند حدود خالص الدين ... وإما أن تلك الحضارات السابقة على الحضارة الإسلامية قد عاشت في أزمنة الفترة التي خلت من رسائل الدين ..

بينما تميز الإسلام بكونه ديناً فجّر حضارة ، وصاغ مدنية ، وأثمر اجتماعاً إنسانياً ، وألف في نفس الإنسان - بالمنهاج التربوي الشامل - ذلك الائتلاف المتوازن ، الذي جعل هذا الإنسان يبدع الحضارة المصطبغة بصبغة الدين . : لقد حقق الدين الإسلامي الائتلاف والتوازن والأمن في نفس الإنسان المسلم ، فجاء الإبداع المدني لهذا الإنسان - أي الحضارة الإسلامية - ثمرة مجسدة لهذا الذي أحدثه الدين في نفس هذا الإنسان . : فلما حدث وبعثت هذه الحضارة وثقافتها عن هذه الصبغة كان هذا الخلل الذي نشكوه منه والذي حدث منذ قرون ، والذي تطبّأ لدائه كل دعوات وحركات الإصلاح في أمة الإسلام .

• ومن دعوات الإصلاح من سلك طريق الفردية المطلقة ، الباحثة عن خلاص الذات الفردية ، وتنكب طريق المجتمع والحضارة - كالصوفية المغالية في التحلل من الضوابط والمعايير الاجتماعية للشرعية ... ومن المصلحين من أرجع الداء إلى الفكر - كحجة الإسلام الغزالي (٤٥٠ - ٥٠٥ هـ - ١٠٥٨ - ١١١١ م) - ومنهم من ركز على تنقية العقيدة مما شابها وطأ عليها - كشيخ الإسلام ابن تيمية (٦٦١ - ٧٢٨ هـ - ١٢٦٣ - ١٣٢٨ م) - ومنهم من عالج

جانب الشريعة بإبراز مقاصدها - كالشاطبي (٧٩٠هـ - ١٣٨٨م) ومنهم من ركز على الجانب السياسى فى عوامل الخلل - كجمال الدين الأفغانى (١٢٥٤ - ١٣١٤هـ / ١٨٣٨ - ١٨٩٧م) - ومنهم من لفت الأنظار إلى إصلاح مناهج الفكر والتجديد - كالإمام محمد عبده (١٢٦٥ - ١٣٢٣هـ / ١٨٤٩ - ١٩٠٥م) .

• ثم كان العصر الحاضر - عصر الأخذ عن الغرب - والذي شهد ثمرات واضحة لكل دعوات الإصلاح السابقة . . . ومع ذلك بقى الخلل . . . وبقيت الأمة تبحث عن مفتاح الإصلاح ، وطريق الخلاص والنهوض .

• وإذا كان الإسلام هو سبب تقدم المسلمين ، ونهوضهم الحضارى ، وازدهارهم الثقافى . . . فما سبب التخلف الذى أصاب المسلمين ، مع بقاء الإسلام كما هو على حاله الذى كان عليه عندما فجر ينابيع التقدم فى الحياة الإسلامية ؟ . .

إن السبب هو غيبة «الروح» - روح الدين الإسلامى - عن الحضارة - الحضارة الإسلامية - هو انقطاع الاتصال بين الإسلام وحضارة المسلمين . . هذه الروح التى جعلت الحضارة إسلامية بل والتى فجرتها وصبغتها بصبغة الإسلام .

لقد جلس الحسن البصرى (٢١ - ١١٠هـ / ٦٤٢ - ٧٢٨م) إلى واعظ من الوعاظ ، فلم يتأثر قلبه بموعظته ، فسأل الحسن الواعظ : «يا أخى ، أبغلبك مرض أم بقلبى»؟! . . إن انقطاع الاتصال ، لغيبة الروح ، هو سبب المرض والمأزق الحضارى ، الذى تطب له وتبحث عن علاجه مختلف مدارس الإصلاح .

فما هي هذه الروح التي جعلت الإسلام ، دون الديانات الأخرى ، يصنع حضارة وثقافة ، ولا يقف عند مجرد الدين؟ ..

وأين موطن الخلل الذي عطل الفعل الإسلامى فى الحضارة والثقافة .. فتراجعت الحضارة الإسلامية؟ وضمرت الثقافة الإسلامية ، مع بقاء الإسلام الدين كما هو ، وبقاء الإيمان به والاستمسك بعراه؟ ..

لقد عرض الشيخ محمد الفاضل بن عاشور لهذه القضية المحورية عندما تحدث عن :

١. تميز الإسلام الدين بإفراز الحضارة، وبناء الثقافة: «إذا كان الإسلام باعتباره ديناً يشترك مع غيره من الأديان فى القضايا التى هى موضوع الديانات عامة ، فإن للإسلام نواحي يتفرد بها عن تلك الديانات ، التى اشترك معها فى القضايا الدينية بصفة عامة إذ تكون له جهات اتصال بالثقافات والحضارات ليست لغيره من الأديان الأخرى .. فهذه التى نسميها الحضارة الإسلامية ، أو تلك التى نسميها الثقافة الإسلامية ، إنما هى سلاسل من الأحداث والأوضاع والكيفيات الاجتماعية والذهنية كان الإسلام مبدأ نشأتها وسبب تكوينها .. فلم يقف الإسلام عند التعايش مع العلم .. وإنما أصبح كل موضوع علمى ذا صلة بالعقيدة الدينية .. وصار الارتباط بين الدين والمعرفة العقلية ، أو بين علم الطبيعة وعلم ما وراءها ارتباط التفاعل والتمازج .. ونشأ من ذلك اتجاه نحو

الحياة والسلوك فيها ، يدفع به العامل الدينى الاعتقادى فى كل وجه من وجوهه ، وسبيل من سبله . . فصار الداعى الدينى يتجلى فيما يصنع العالم ، وما ينتج الأديب ، وما يصوغ صاحب الفن . . وصارت المعرفة العلمية سندا لكلام المتكلم ، وفقه الفقيه ، وتصوف الصوفى ، على الصورة التى ربطت عناصر المعرفة ، وأخرجت كتب العقيدة الإسلامية جامعة للمعارف الطبيعية والرياضية والإنسانية ، مع الحقائق الاعتقادية ، يتجانس فيها العلم مع الدين ويتساند العقلى والنقل . . لقد تكوّن المجتمع الإسلامى بإثر دعوة دينية . . إنه مجتمع دينى بالمعنى الأخص ، كان الدين فيه العامل الأول المباشر . . ومن دعوة الدين والإيمان بها اكتسب الشعب الذى استجاب لتلك الدعوة وامتاز بذلك الإيمان خللا نفسية جديدة . . لم يستفد علما ولا صناعة ولا قوة مادية ، ولكن الذى اكتسبه من خلال طوع العلم والصناعة والقوة المادية فكانت المدارك الدينية وحدها هى التى فتحت أمام نظر المسلم آفاق الكون للتأمل والاعتبار والمعرفة والإيمان .

فالحقيقة الاعتقادية الإلهية هى الأساس لكل ما بنت الحضارة الإسلامية من هياكل حسية ومعنوية ، وإنسان هذه الحضارة بالدين فكر . . وبالدين تحضر . . وبالدين أنتج آثار حضارته . . وبالدين أقام الدولة الصائنة للمجتمع وحضارته ، وكذلك استمرت مظاهر الحضارة متصلة فى نفسه بالدين ، وعوامل الدين فعالة فى مظاهر الحضارة . . » .

٢. كذلك امتازت هذه الحضارة الإسلامية وثقافتها بالتوازن والانسجام؛

لأنها ثمرة لامتياز الإسلام بتحقيق التكامل والتوازن والانسجام
فى مصادر المعرفة الإنسانية .. «فكل الحقائق ، المتصلة بالمادة
والمتصلة بما وراءها هى فى متناول الإنسان ، يستطيع أن يتوصل
إليها بمداركه العديدة المدرجة ، المستند بعضها إلى بعض ، فى
غير تنافر ولا تدابر ولا تناقض .. فالمدرجات الغريزية وراءها
المدرجات الحسية .. ثم المدرجات الحسية وراءها المدرجات
العقلية .. ثم المدرجات العقلية تؤدى إلى المقدمات المفصلة إلى
تلقي المدرجات الغيبية الآتية من طريق الوحي وإلى التسليم بها
والإذعان لها .. وتبقى هذه المدرجات كذلك متعاونة متساندة لا
يمكن أن يحصل بطريق واحد منها ما يتناقض مع الحاصل من
طريق مدرك آخر ، إلا أن بعض ما يقصر عن الإحاطة به أحد
هاتيك الطرق يمكن أن يتصل به طريق آخر منها حتى تنتهى إلى
الإذعان للمدرجات الحاصلة بالطريق الخارق للعادة وهو طريق
الوحي ..

فعقل الإنسان وعقيدته وحسه المادى وعواطفه الغريزية كلها
متجانسة متعاونة لا يخشى بعضها بعضا ولا يقطع أحد
سبيل الآخر .

لقد كانت الحضارة الإسلامية من أثر إنسان اكتسب وضعاً
منسجماً فى ذاته آمناً إلى نفسه فصنع على مثال نفسه حضارة
أكسبها مما اكتسب ، وأفاء عليها مما أفاء الله عليه ، حتى فاقت
بما فيها من انسجام غيرها من الحضارات .

٢. لكن.. ما الذى حدث حتى تخلقت الحضارة الإسلامية وتهلهمت ثقافتها .. مع بقاء الإسلام - الذى صنعهما وحقق لهما الازدهار الذى دام لعدة قرون كانا فيه منارة للعالمين على ما هو عليه؟ .. «لم يكن المصاب العزيز هو الإسلام ، وإنما كان الثقافة الإسلامية والحضارة الإسلامية .. وكانتا تتطلعان إلى الإسلام بذاته ، تحنان إليه ، وترجوان شفاءهما عنده .. وكان القريب والبعيد يدركون أن ما نزل بالمجتمع الإسلامى ، فى حضارته وثقافته ليس إلا أمرا آتيا من انحراف عن الأصل ، وانقلاب فى الوضع ، وانفلات عن العامل التربوى الأسمى الذى لزم الأصول ، وأحكم الأوضاع .. فلقد أصاب الحضارة والثقافة ما عزلها عن صدق الاستمداد من الإسلام ، ومشتت الاعتماد عليه ، حتى مال عمادها واضطربت أوتادها .. » .

فالخلل لم يحدث فى ذات الإسلام .. وإنما فى توقف عقيدة الإسلام عن أن تكون روح الحضارة .. وانكماش الإرادة الاعتقادية البناءة للحضارة .. وغربة الحضارى عن الدينى .. وتفكيك الدين عن الدنيا .. «وإن تبين الناحية من العقيدة التى أصابتها العلة ، هو الذى يكشف عن الأسباب التى قضت بضعف الحضارة وتهللها ..

إن الذى حدث فى العقيدة الدينية وقضى بتضعف الحضارة إنما هو انكماش صدّها عن أن تخلع من روحها على الحضارة ، فأصبحت الحضارة حائرة جامدة لا تتقدم .. وما

كان ذلك الانكماش إلا أثرا من آثار الضعف ، الذى أصاب العقيدة فى جوهرها . . . إن الإرادة الاعتقادية البناءة هى التى خارت وضعفت ، فأصبحت الأوضاع الاجتماعية ، والآثار المدنية تصدر عن غير ما كانت تصدر عنه فصارت هى فى واد والعقيدة الدينية فى واد . . . وبقي المسلم وفيها لعقيدته الدينية غيورا عليها من جهة ، متقبلا لحياته العملية مطمئنا إلى واقعها من جهة أخرى ، حتى أصبح المبدأ النظرى والواقع العملى عنده متبايناً وتولدت من ذلك نظرية تفكيك الدين عن الدنيا ، باعتبار أن الدين خير غير واقع ، والدنيا شر واقع ، وأن العبد المسلم يحمل بين جنبه دينا لا يؤثر فيه إلا لما ما ويعيش فى دنيا لا يعرف فيها إلا كل ما يبعد به عن الدين .

ثم هجمت عليه فى حياته العملية مدينيات أجنبية عنه ، فيها العلم ، وفيها الصناعة ، وفيها القوة ، وفيها الحكمة ، فلم يجد من إرادته الدينية ما يتناول به هذه المدنية كما تناول المدينيات التى احتك بها من قبل ، يوم كانت إرادته الدينية قوية سليمة ، فوقف أمامها جامدا ، واعتبرها من جملة صور الحياة التى كان من قبل آمن بانفكاكها عن الدين . . .

ذلك هو موطن الخلل . . الذى كان ابن خلدون (٧٣٢ - ٨٠٨هـ / ١٣٣٢ - ١٤٠٦م) من أفضل من أدركه ، وحلله . . «لقد حلل ابن خلدون المشكلة تحليلا دقيقا ، عندما جعل شئون السياسة ، والعمران ، والصناعة ، والعلم ، فى الدولة

الإسلامية ، تبعا لشأن الدين . . وجعل الحقيقة الأولى للدين ،
التي هي العقيدة الفردية أصلا وأساسا لذلك كله فأخذ يدرس
مشكلة فساد الدولة وركود العمران - في عصور الإسلام
اللاحقة عن عصوره السابقة - وانتقاص الصنائع ، وتلاشي
ملكات العلوم ، واختلال طرائق التعليم في الأمصار
الإسلامية لعهد ، جاعلا ذلك كله راجعا إلى اختلال
الحقيقة الأولى للدين ، التي هي أساس العمران الناشئ به ،
والدولة القائمة عليه ، أعنى العقيدة الدينية فرد ذلك كله إلى
صورة تكون الفرد تكونا إيمانيا ، يرتبط من جهة بالدين
الإسلامي في عقيدته ويسرى منه إلى كل ما انبثق عن تلك
العقيدة من مظاهر عمرانية وصناعية وفكرية .

وإذا كان الناس يكتفون بأن يعللوا ما بدا في حياة المجتمع
الإسلامي وحضارته من إخلال ، بما يرجع إلى نظم الحكم ،
وصور الدول ، وما شاع من فساد الخلق وتفكك الروابط
الاجتماعية ، فإن ابن خلدون يطلب لهذه العلل عللا ، ويرد
هذه الأسباب إلى أسباب وراءها ، فانقلاب الخلافة إلى ملك
ليس العلة ، وإنما هو عرض لعلّة تغير الوازع الديني إلى مقاصد
التغلب والقهر ، والتقلب في الشهوات والملاذ ، وحلول عصبية
الدولة محل عصبية الدين .

لقد أرجع ابن خلدون الحضارة الإسلامية إلى أصلها
وأساسها ، أو بالأوضح روحها ، وهو العقيدة الدينية .

٤. وإذا كانت هذه هي المشكلة.. فما هو حجمها؟ وما هو عمرها؟.. إن حجم هذه المشكلة ليس بالهين .. وعمرها ليس بالقصير .. «وإذا كنا لا ننكر أن الحضارة الإسلامية قد تقاصرت وتراجعت وتخلخلت ، وأن الثقافة قد ذوت وانكمشت واصفرت ، وأوشكت أن تصبح حطاما ، فإن ذلك ليس وليد الأمس ، ولا أمسه ، ولكنه الأدواء التي استفحلت في القرون الأخيرة ، حتى أعضلت ، وعز دواؤها ، ثم لم تزل تنمو وتشتد وتتفاقم آلامها وأخطارها حتى انتهت إلى الوضع المفرع الذي صبح قرننا الحاضر منه بالشكوى ..» .

٥. وأخيرا.. وبعد تحديد روح الحضارة الإسلامية وتشخيص موطن الخلل الذي أصاب حضارتنا وثقافتنا .. فما هو الحل الحقيقي لهذه المشكلة .. واخرج من هذا المأزق الذي يأخذ بخناق الأمة؟؟ ..

إن الحل هو في العودة إلى الروح التي صنعت الحضارة المزدهرة والثقافة المتألقة .. إنه عودة الروح الدينية لتصوغ النهضة الحضارية المتميزة والمستقلة .. وهذا هو المعنى الحقيقي لمقولة : لن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها .. «فلولا التكوّن الفردي المكّي ، والتكوّن الاجتماعي المدني ، لما كانت آثار الحضارة التي تبدت في عواصم الإسلام .. فإذا كان الناس اليوم يحنّون إلى عهود ذهبية ، ازدهرت بها تلك العواصم ، ويتحرّقون إلى إحيائها وتجديدها فأجدر بهم أن يعودوا إلى العامل الأصلي الذي ولد تلك العصور الذهبية ، والذي بدونه لن تعود زهرة تلك العصور

وينعتها ، ألا وهو العامل التربوي الإسلامى ، الذى كَوّن الفرد قبل أن يكوّن المجتمع ، ومهد للثقافة طريقها قبل أن يتناول عناصر المعرفة التى ألفت كيانها .

أما إذا وقفنا عند «استقلال العلم والنشيد» دون حقيقة «الاستقلال الحضارى» الذى هو ثمرة للصبغة الإسلامية المتميزة ، قلن نخرج من هذا المأزق الذى نعيش فيه .. «لقد خرج العالم الإسلامى من تحت حكم الغير ، واسترجع سيادته الذاتية ، لكن هل هو مستطيع أن يعاود حضارته ليضطلع بأعبائها من جديد ، وليمثل للناس صورة جديدة من الثقافة والحضارة ، منطبعة بطابع شخصيته الإسلامية ، ومنبثقة عن المبادئ الاعتقادية الإسلامية ، التى انبثقت عنها الصورة الماضية التى عرفها التاريخ من ثقافة الإسلام وحضارته؟؟ ..

إن نهضة اليابان ليست بوذية ، ولا نهضة الصين نهضة كونفوشية ، ولا نهضة اليونان نهضة بيزنطية ، ولا أفلاطونية ، ولا أرسطوطاليسية ، بل ولا هى يونانية على الحقيقة بأى حال من الأحوال . فهل سيكون شأن الإسلام مقصورا على هذا الوضع؟ أو أن حضارة إسلامية الروح ، وثقافة إسلامية الطابع ، ستبدوان من بين ذلك القدر المشترك المؤلف بين شعوب الأمة الإسلامية الناهضة المستقلة .. إن روح تلك الحضارة هى الموقع الرئيسى للمشكلة ..



تلك بعض من قضايا وأفكار ومحاور المعضلة التي حار وبحار فيها المصلحون .. روح الحضارة الإسلامية ، التي صنعت وميزت الحضارة والثقافة في عصور النشأة والازدهار .. وموطن الخلل الذي جعل الحضارة تتراجع ، والثقافة تتهلهل .. والحل والمخرج من هذا المأزق الحضارى الذى تعيشه أمة الإسلام ..

ولقد تناول هذه القضايا الكبرى ، العالم الجليل الشيخ محمد الفاضل بن عاشور فى هذه الصفحات التى تمثل عملا فكريا نفيسا .. والذى نقدمه إلى الباحثين والقراء قبسا من التنوير الإسلامى لينير لهذه الأمة طريق التقدم والنهوض بالإسلام .
والله نسأل أن ينفع به .. وأن يجعله فى ميزان حسنات صاحبه .. إنه أفضل مسئول وأكرم مجيب ..

دكتور

محمد عمارة

إلى القارئ العزيز ..

في هذه السلسلة الجديدة :

إذا كان «التنوير الغربي» هو تنوير علماني، يستبدل العقل بالدين،
ويقيم قطيعة مع التراث..

فإن «التنوير الإسلامي» هو تنوير إلهي؛ لأن الله والقرآن
والرسول - صلى الله عليه وسلم - أنوار تصنع للمسلم تنويراً
إسلامياً متميزاً.

ولتقديم هذا «التنوير الإسلامي» للقراء، تصدر هذه السلسلة،
التي يسهم فيها أعلام التجديد الإسلامي المعاصر:

- | | |
|------------------------|------------------------|
| • د. محمد عامر | • المستشار/طارق البشري |
| • د. حسن الشافعي | • د. محمد سليم العوا |
| • أ. قهني هويدي | • د. يوسف القرضاوي |
| • د. سيد دسوقي | • د. كمال الدين إمام |
| • د. عبدالوهاب المسيري | • د. شريف عبدالعظيم |
| • د. عادل حسنين | • د. صلاح الدين سلطان |

وغيرهم من المفكرين الإسلاميين ..

إنه مشروع طموح، لإنارة العقل بأنوار الإسلام.

الناشر



www.nubdetmst.com